الغزال صاحب الحوافر الذهبية

عاش في مصنعنا عجوز يدعى إيفان، ولم يبق له أحد من عائلته، وأراد أن يتبنى طفلاً، فسأل الجيران إن كانوا يعرفون طفلاً قد تيتم حديثاً، فقال له الجيران: منذ فترة قريبة تيتمت عائلة غريغوري بوتوبايف. فأمر السيد بإرسال الفتاتين الكبيرتين إلى منزل السادة لتعلم الحياكة، أما الفتاة الصغيرة ذات الستة أعوام فلا أحد يريدها، فخذها أنت.

فقال العجوز: يصعب علي تربية فتاة، فالأفضل أن أتبنى صبياً، لكنت علمته مهنتي، أما الفتاة فماذا يمكنني تعليمها؟

ثم فكر قليلاً وقال: كنت أعرف غريغوري وأعرف زوجته، وكانا كلاهما مرحين وماهرين، فإذا كانت الفتاة كوالديها، فلن أشعر بالملل معها في المنزل، حسناً سآخذها ولكن هل ستذهب معي؟

فقال الجيران: حياتها في بيتها صعبة، فقد أعطى المشرف منزلها لخادم وأمر مقابل سكنه فيه أن يطعم اليتيمة إلى أن تكبر. وذلك الخادم لديه أسرة فيها عشرة أشخاص لا يجدون ما يأكلون، فتقوم زوجته بإزعاج الفتاة وتذكرها دائماً بلقمتها. ورغم أن الفتاة صغيرة إلا أنها تفهم كل شيء، ويصعب عليها تحمل الوضع، ولذلك سيسهل إقناعها فاذهب وحاول.

obeikandl.com

نعم هذا صحيح... أجاب إيفان – سأحاول إقناعها.

فجاء في يوم العطلة إلى تلك الأسرة التي كانت تعيش عندهم الفتاة اليتيمة، ورأى المنزل مليئاً بالناس كباراً وصغاراً، وعند المدفأة تجلس فتاة صغيرة وبجانبها هرة نحيفة جداً ومن النادر أن يهتم أحد بمثلها. وجلست الفتاة تربت على ظهر الهرة فيبدو على الهرة السرور. نظر إيفان إلى الفتاة وقال: أهذه هي ابنة غريغوري؟

فردت زوجة الخادم: نعم إنها هي، وقد وجدت هذه الهرة النحيلة في مكان ما، ولا نستطيع طردها، فقد هاجمت أولادي الصغار، بالإضافة إلى إطعامها.

فقال إيفان: يبدو أن أولادك ليسوا حنونين، انظري كم هي سعيدة في حضن هذه الفتاة.

ثم سأل الفتاة اليتيمة: ما رأيك يا داريا هل تذهبين للعيش معي؟

ولكنني لا أعرف من أنت... أجابت الفتاة.

أنا كالصياد، في الصيف أغسل الرمال، وأستخرج الذهب، وفي الشتاء أجوب الغابات بحثاً عن الغزال ولم أنجح في إيجاده حتى الآن.

وهل ستقتله؟

لا ... أجاب إيفان – إنني أطلق النار على الغزلان العاديين أما هذا فلن أقتله، أريد أن أرى المكان الذي يدوس فيه بحافره الأمامي الأيمن.

ولماذا تريد معرفة ذلك؟

حسناً إن ذهبت للعيش معي أروي لك كل شيء.

فشعرت الفتاة بالفضول لمعرفة قصة الغزال، ورأت أن العجوز مرح وحنون. فقالت له: سأذهب ولكن آخذ الهرة موركا معنا. انظر كم هي لطيفة.

طبعاً لا مجال للحديث عن ذلك، فهرة كهذه ستكون لدينا عوضاً عن الآلة الموسيقية.

obeikandl.com

سمعت زوجة الخادم حديثهما وسرت به كثيراً، وبدأت تجمع أغراض الفتاة سريعاً خوفاً من تغيير العجوز لرأيه.

وبدت الهرة وكأنها فهمت الحديث كله، فقفزت إلى الأرض وبدأت تدور حول العجوز سعيدة وكأنها توافق على الذهاب معه. وهكذا أخذ إيفان الفتاة اليتيمة لتعيش معه. وسار العجوز الذي كان كبير الحجم ضخماً، والفتاة الصغيرة والخفيفة الوزن وراءه، وخلفهما الهرة النحيلة. وهكذا صاروا يعيشون سوية الجد إيفان والفتاة داريا والهرة موركا. وعاشوا بسعادة، ولم يكونوا يكسبون الكثير من المال ولكنهم لم يشكوا من ذلك، وكل كان لديه عمله، فالعجوز كان يذهب إلى عمله منذ الصباح الباكر، وداريا تنظف الكوخ وتحضر الطعام، والهرة موركا تقوم بصيد الفئران، وعند المساء يجتمعون ثلاثتهم سعداء.

وكان العجوز يتقن قص الحكايات، وداريا تحب سماع القصص، و كانت الهرة موركا تستلقي وتعبر عن إعجابها بموائها وكأنها تقول: صحيح... صحيح.

ولكن وبعد أن يقص العجوز قصة كانت داريا تذكره قائلة: جدي احك لي قصة الغزال. وصفه لي كيف يبدو؟

وكان الجد يعارض في البداية ثم يروي لها القصة: إن ذلك الغزال ليس عادياً، فلديه على رجله اليمنى حافر فضي، وفي المكان الذي يدوس فيه بذلك الحافر يظهر حجر كريم، فإن داس مرة واحدة ظهر حجر واحد، وإن داس مرتين ظهر حجران كريمان، وحيث يضرب الأرض بحافره كثيراً تظهر كومة من الأحجار الكريمة.

قال الجد ذلك وبدا حزيناً، ومنذ ذلك الحين لم يعد عند داريا حديث آخر إلا عن هذا الغزال. فكانت تسأل جدها: جدي هل هذا الغزال كبير؟

فحكى لها جدها أن طول الغزال لا يعلو عن طول الطاولة، وأرجله نحيلة، ورأسه خفيف الوزن.

فسألته داريا ثانية: جدي وهل لديه قرون؟

نعم إن قرونه طويلة، فالغزلان العاديين لديهم فرع في كل قرن من قرنيهما، أما هذا الغزال فلديه خمسة فروع في كل قرن.

وماذا يأكل هذا الغزال يا جدي؟

إنه يأكل الأعشاب وأوراق الشجر في الفصول الدافئة، ويأكل العلف في الشتاء.

وماذا يكسو جسمه يا جدي؟

في الصيف يكسو جسمه الوبر البني اللون وفي الشتاء يصبح وبره رمادياً، ورائحته من رائحة الغابات.

ومع حلول الخريف بدأ الجد إيفان يستعد للذهاب إلى الغابة، وكان عليه أن يفحص المناطق التي تكثر فيها الغزلان، فصارت داريا ترجوه قائلة: خذني معك يا جدي، عساي أرى ذلك الغزال من بعيد.

فشرح لها الجد قائلاً: لا يمكنك رؤيته من بعيد، فجميع الغزلان لديهم قرون في الخريف، ولا يمكنك التعرف على عددها من بعيد. بينما يختلف الأمر في الشتاء، فالغزلان العادية تصبح بلا قرون، بينما هذا الغزال صاحب الحافر الفضي لديه قرون طوال السنة سواء في الصيف أو الشتاء، وعندها يمكنك أن تعرفيه عن بعد.

عندها توقفت داريا عن طلب الذهاب معه، فبقيت في المنزل، وذهب الجد إيفان إلى الغابة. وبعد خمسة أيام عاد الجد إلى المنزل وقال لداريا: لقد وجدت عدداً كبيراً من الغزلان شرقي الغابة، وإلى هناك سأذهب في الشتاء.

وكيف ستنام في الغابة شتاءً؟ ... سالت داريا .

لدي هناك كوخ شتوي وفيه موقد ونافذة، والإقامة هناك مريحة.

فسألته داريا: وهل يأتي الغزال صاحب الحافر الفضي إلى تلك المنطقة.

obeikandl.com

من يدري ربما هو هناك.

فرجته داريا قائلة: خذني يا جدي معك. سأبقى جالسة في الكوخ فأرى الغزال إن اقترب.

فعارض العجوز في البداية وقال: لا.. لا يا داريا، فمن الخطر أن تتنزه فتاة صغيرة في الغابة، فأنا سأستخدم الزلاجات وأنت لا تعرفين استخدامها، فإن وقعت على الثلج أو الجليد فماذا أفعل بك؟ فستتجمدين من البرد.

لكن داريا عاودت رجاءها: خذني يا جدي فأنا أعرف ركوب الزلاجات قليلاً، فبقي الجد يثنيها، ولكنه في نهاية الأمر فكر في نفسه: "إن أخذتها مرة فإنها لن ترغب بالذهاب مرة ثانية".

فقال لها: حسناً سآخذك. ولكن لنتفق على أنك لن تبكي في الغابة ولن تطلبي العودة إلى المنزل قبل الأوان.

وعلى ذلك اتفقا. وعندما جاء الشتاء، أخذا يستعدان للذهاب إلى الغابة، فوضع الجد إيفان على الزلاجة اليدوية كيسين من الكعك، ومؤونة للصياد وغير ذلك مما يحتاجانه، وأخذت داريا كيساً لنفسها فيه أشياؤها وألعابها وكانت تنوي خياطة ثوب للعبتها، كما أخذت حبلاً، وفكرت في نفسها: "هل يمكنني أن أقبض على الغزال صاحب الحافر الفضي بواسطة هذا الحبل؟".

وشعرت داريا بالحزن على هرتها لأنها ستظل وحيدة، ولكن ما باليد حيلة، فجلست تربت على ظهر الهرة مودعة، وتتحدث معها: - سنذهب أنا وجدي إلى الغابة يا موركا، وعليك البقاء في المنزل واصطياد الفئران. وعندما نرى الغزال صاحب الحافر الفضي نعود إلى المنزل، وعندها سأروي لك كل شيء.

فنظرت الهرة نظرة ماكرة إلى الفتاة وبدأت تموء موافقة.

وهكذا ذهب الجد إيفان مع داريا، فاستغرب الجيران ذهابهما سوية وقالوا: لا شك أن العجوز فقد عقله حتى يأخذ فتاة صغيرة كهذه معه على الغابة شتاءً.

وعند خروج الجد إيفان وداريا من منطقة المصانع سمعا نباح كلاب الحراسة وبدا نباح الكلاب قلقاً وعلا تدريجياً وكأن الكلاب رأت حيواناً في الشارع، فالتفت الجد وداريا ليريا ما الأمر فرأيا الهرة موركا تركض وراءهما وتهرب من الكلاب، وكانت قد استعادت صحتها وعافيتها وأصبحت ضخمة الحجم، فلم تتجرأ الكلاب على الاقتراب منها، بل اكتفت بالنباح من بعيد.

حاولت داريا التقاط الهرة وإعادتها إلى المنزل، ولكن الهرة بقيت تسير خلفهما على مسافة. وعندما وصلت موركا إلى الغابة قفزت إلى شجرة سرو عالية، فأين للفتاة أن تطالها.

حاولت داريا مناداة الهرة حتى تنزل، ولكن بلا جدوى، فتابعا المسير، وعندما التفتا وجدا موركا تسير وراءهما، وهكذا وصلا إلى الكوخ، وصاروا ثلاثتهم في الكوخ، فقالت داريا مسرورة: سنتسلى أكثر ثلاثتنا. فوافق الجد وقال: طبعاً سنتسلى.

بينما التفت الهرة موركا على نفسها بجانب الموقد وأخذت تموء مسرورة وكانت الغزلان كثيرة في ذلك الشتاء، فكان الجد يصطاد غزالاً واحداً في اليوم، فجمعوا كمية كبيرة من الجلود، وملحوا لحوم الغزلان، وصار من الصعب نقل اللحم على الزلاجة اليدوية، وكان على الجد الذهاب إلى منطقة المعامل لإحضار حصان وعربة، ولكنه احتار كيف يترك داريا والهرة وحيدتين في الكوخ، وكانت داريا قد اعتادت على البقاء في الغابة، فقالت للجد: جدي عليك بالذهاب إلى منطقة المعامل لإحضار حصان وعربة إذ علينا نقل اللحوم إلى المنزل.

فرد عليها الجد مندهشاً: يا لك من ذكية يا صغيرتي. ولكنني أخشى عليك من أن تخافي إذا تركتك وحيدة هنا.

- ولماذا أخاف... ردت داريا – فكوخنا متين والذئاب لن تدخل إليه، وموركا معي، فلن أخاف. لكنك حاول أن تعود سريعاً.

وهكذا ذهب الجد إيفان وبقيت داريا وموركا في الكوخ. وكانت داريا معتادة على البقاء وحيدة خلال النهار، لأن الجد كان يذهب لاصطياد الغزلان... ولكنها

خافت قليلاً عندما بدأ الظلام يحل، ولكنها نظرت إلى موركا ووجدتها مطمئنة، فعاد إلى داريا مرحها. فجلست بجانب النافذة تنظر إلى التلال، ورأت شيئاً يتحرك سريعاً عبر الغابة. وعندما اقترب أكثر رأت داريا أنه غزال يركض، وساقاه نحيفتان ورأسه صغير، وكل قرن لديه خمسة فروع. خرجت داريا من الكوخ لتراه أكثر فلم تجده، فعادت إلى الكوخ وقالت: لا شك أنني كنت أحلم بجانب النافذة.

وكانت موركا توافقها على كل ما تقوله بموائها. فاستلقت داريا بجانب الهرة، ونامت حتى الصباح. ومر يوم آخر ولم يعد الجد إيفان بعد. فشعرت داريا بالملل ولكنها لم تبك، وجلست ممسكة بهرتها تقول لها: لا تحزني يا موركا، فالجد إيفان سيعود قريباً.

وعادت داريا للجلوس بجانب النافذة والتمتع بمنظر النجوم، وعندما قررت الذهاب للنوم، سمعت صوت حيوان يسير بجانب الكوخ، فشعرت بالخوف، ثم سمعت الصوت عند الحائط الآخر وكان الصوت خافتاً، ففكرت داريا في نفسها: "أيمكن أن يكون ذلك هو الغزال الذي رأيته البارحة؟".

واشتد فضولها لرؤية الحيوان، ففتحت الباب ورأت الغزال قريباً منها، ورفع الغزال قدمه الأمامية اليمنى وضرب بحافره الأرض، ورأت أن حافره كان فضياً لامعاً، وكل قرن لديه فيه خمسة فروع. فلم تدر داريا ماذا تفعل، فنادته بلطف قائلة: تعال .. اقترب.

فضحك الغزال ثم استدار وهرب، وعادت داريا إلى الكوخ، وحكت لموركا: لقد رأيت الغزال صاحب الحافر الفضي، ورأيت قرونه، ولكنني لم أر كيف يضرب بحافره ويترك على الأرض حجراً كريماً، لا شك أنه سيريني ذلك في المرة القادمة.

وجاء اليوم الثالث ولم يعد الجد إيفان، فاشتد قلق داريا، وجلست تبكي حزينة. أرادت أن تحكي مع موركا فلم تجدها في الكوخ، فاشتد خوفها، وخرجت من الكوخ تبحث عن الهرة.

وكان الليل مقمراً ومضاء والرؤية جيدة. فنظرت داريا ورأت الهرة على مقربة منها تستلقي بجانب العلف، وإلى جانبها الغزال.

وقف الغزال ورفع قدمه ذات الحافر الفضي اللامع. فهزت موركا برأسها وهز الغزال برأسه أيضاً، وكأنهما يتحدثان، ثم أخذا يركضان سوية، فركض الغزال قليلاً ثم توقف وأخذ يضرب الأرض بحافره عدة مرات، فاقتربت منه موركا، وركض الغزال مبتعداً ثم توقف وعاد يضرب الأرض بحافره، وهكذا بقيا يلعبان فترة طويلة في الغابة، ثم عادا إلى جانب الكوخ. وهنا قفز الغزال إلى سطح الكوخ وأخذ يضرب السطح بحافره الفضي، وبدأ الشرار يتطاير من تحت حافره وتتساقط الأحجار الكريمة الحمراء والزرقاء والخضراء والفيروزية.

وفي تلك الفترة عاد الجد إيفان ولم يستطع التعرف على كوخه، فقد أصبح كله مثل كومة من الأحجار الكريمة، يسطع نوره بمختلف الألوان، وفوق سطح الكوخ يقف الغزال ويضرب بحافره الفضي، والأحجار تتساقط وتتساقط. وفجأة قفزت موركا إلى سطح المنزل ووقفت إلى جانب الغزال، وماءت بصوت عالٍ، فاختفيا كلاهما موركا والغزال.

فجمع الجد إيفان مباشرة نصف حقيبة من الأحجار الكريمة، ولكن داريا رجته قائلة: اتركها مكانها يا جدي، فغداً نخرج لنراها في ضوء النهار.

فاستمع الجد لطلبها. ولكن مع الصباح نزل ثلج كثير وغطى الأحجار كلها. وعندما أزالا الثلج لم يجدا تحته شيئاً، ولم يبق لديهما غير الأحجار التي جمعها الجد في حقيبته، ولكنها كانت كافية لهما.

وكان كل شيء جيداً، ولكنهما لم يريا موركا مرة ثانية، والغزال أيضاً لم يظهر مرة ثانية، فقد سلاهم مرة واكتفى.

وصار الناس يعثرون على الأحجار الكريمة في أرجاء الغابة حيث كان يركض الغزال مع موركا.